العرب
الثلاثاء 2020/05/12
السنة 42 العدد 11700

حركة طالبان تحتوي الشيعة لخلط أوراق داعش

سعي لمواجهة الرواية الطائفية لتنظيم الدولة بالتركيز على المصالحة المجتمعية

تجتهد حركة طالبان منذ توقيع اتفاق نهاية شهر فبراير الماضي مع الولايات المتحدة، من أجل تقديم نفسها في صورة الحركة السياسية التي قطعت مع العنف والإرهاب، لكن الحركة تواجه أيضا كفاحا موازيا من أجل سحب البساط من تحت تنظيم داعش في المنطقة. جهد دفع الحركة إلى مناقضة تاريخها وأدبياتها ومد يدها للشيعة الهزارة في خطوة تتقصد من خلالها تحقيق أهداف سياسية وإستراتيجية متداخلة.

استدارة طالبان نحو السياسة

هشام النجار
كاتب مصري

نشرت قنوات معبرة عن حركة طالبان الأفغانية، مؤخرا، لقاء مصورا مع مولوي مهدي، أحد الحكام الإداريين الشيعة بالحركة السنية، وهو حاكم منطقة بلخاب شمال مقاطعة سربل، ضمن سياق حرصها على إظهار اختلافها عن تنظيم داعش، والتأكيد على نفي نزوعها إلى التصنيف الطائفي.

تكابد طالبان في سبيل خلق واقع مجتمعي طارد لتنظيم داعش كي لا ينحصر الصراع مع الأخير في شقه العسكري، حيث ثبت طوال السنوات الماضية أن المواجهات المسلحة، والتي أسهمت في تغذيتها الولايات المتحدة، لم تقوض دينامية التنظيم أو تحبط قدراته على تجديد رأسماله البشري ودمائه القيادية بصورة مستمرة، خاصة بعد أن ضاقت به السبل في الشرق الأوسط، ولجأ إلى الاحتماء بالبيئة الخصبة في أفغانستان وبعض الدول الآسيوية، والتي حافظت على درجة من تقبل التنظيمات المتشددة واتساع نطاق نشاطها في أجواء بدت قادرة على استيعابها.

> تعامل طالبان مع شيعة الهزارة، يناقض خطط تنظيم داعش التي اعتمدت السلوك الطائفي في سبيل تجذير أقدامه

تتشكل في أفغانستان الآن ملامح مرحلة تتميز بحرص كل طرف من أطراف المعادلة الأفغانية على تأكيد مكاسبه عبر التوطيد لعلاقات إقليمية قد تسعف في التعامل مع الآخر من موقع قوة مع تعقيدات الوضع الداخلي.

عدّلت حركة طالبان من إستراتيجيتها بما يتسق مع طبيعة المرحلة وبما يناسب وضعها بعد إبرام اتفاق سلام مع واشنطن، عبر التعامل بمقتضيات الدولة المنضبطة لا الحركة العشوائية، وانتهاج أساليب دبلوماسية والدخول ضمن تكتلات، عوضًا عن العنف لحل المشكلات.

يرجع سعي طالبان إلى إنجاز علاقات متميزة مع شيعة أفغانستان في الداخل مع ما تعكسه من رغبة في فتح قنوات اتصال مع طهران، إلى حرصها على إعادة ترتيب المشهد الأفغاني بشكل يمكن أن يمنحها العديد من الخيارات التي تضاعف قدرتها على إدارة الصراعات مع كل من فرع داعش بأفغانستان، أو ما يُعرف بتنظيم خراسان ومع الحكومة الأفغانية المحلية.

يناقض تعامل طالبان مع شيعة الهزارة خطط داعش التي اعتمدت السلوك الطائفي في سبيل تجذير أقدامه في التربة الأفغانية.

الحاضنة المجتمعية

صب داعش تركيزه على الوتر الطائفي في أفغانستان مؤملاً تكرار أسلوب صعوده في سوريا والعراق، ومستغلا اختلاف الطوائف ووجود معتنقي المذهب الشيعي في كل من باكستان وأفغانستان لتأجيج النعرات المذهبية بغرض تشكيل حاضنة مجتمعية للتنظيم.

ودشن التنظيم حضوره عبر البيان الذي أطلقه تسعة من جهاديي القاعدة في باكستان وأفغانستان، والمعروف بالبيعة الخراسانية، حيث أعلنوا الولاء لزعيم داعش السابق أبوبكر البغدادي.

تميزت البيعة الخراسانية عن غيرها بأمرين؛ الأول نقل صراع داعش ضمن حيز التنافس المحدود داخل سوريا مع جبهة النصرة، هيئة تحرير الشام حاليا، إلى ساحة التنافس مع القاعدة وتهديد نفوذ أيمن الظواهري في قلب معقله في أفغانستان، والثاني التمايز عن القاعدة وطالبان بتكفير الشيعة أو الروافض وفق المصطلح الذي يستخدمه داعش.

احتفى البغدادي في حينه بالبيعة الخراسانية داعمًا محاورها عبر تسجيل بعنوان "ولْيُمكِّنَنَّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم"، واصفًا الشيعة بأنهم "شر من اليهود والصليبيين"، ومحرضا على استهدافهم بقوله "وأدخلوا عليهم كل باب واذبحوهم ذبح النعاج واقتلوهم قتل الذباب".

تتحسب طالبان لصعود مفترض لداعش من خلال مزايدة الأخير على القاعدة وطالبان لمفارقتهما الخط الجهادي وتقديم المصالح السياسية على الثوابت الشرعية وعقد معاهدات صلح مع أعداء الجهاديين التقليديين، علاوة على خطط شق صفوف القاعدة وطالبان واستقطاب المتشددين داخلهما والتشكيك في نهجهما الفكري واتهامهما بالتسيب في الدين وإهدار الشريعة.

تنبهت طالبان لخطر داعش على مستقبلها في السلطة بفضل خبرتها بطرق تجنيد الجهاديين، حيث لا تستبعد حشد أعداد لا يُستهان بها منهم حول رواية تكفير الحركة والحكم بردتها، ما يؤشر على إمكانية نشوب صراع عسكري شرس بين الحركة والتنظيم، يمكن أن يؤدي إلى إضعافهما معا، وهو ما يصب، في النهاية، في مصلحة الحكومة الأفغانية التي من المرجح أن تدخل مرحلة مريرة من الصراع مع طالبان الفترة المقبلة.

ترغب الحركة في قطع الطريق على المشروع الداعشي في أفغانستان خارج ساحة الحرب، وبتكتيك يُغني عن الصراع المسلح، وتجد أن استخدام الورقة المجتمعية وتحريك الرفض الشعبي في مواجهة داعش السبيل الناجع لإفشال التنظيم قبل أن يستفحل وتصبح السيطرة عليه غير ممكنة، مع الحفاظ على مقدرات وطاقات الحركة كي لا تُستنزف في صراع مسلح جديد يصعب التكهن بنتائجه.

وتقدم طالبان نفسها لرجل الشارع الأفغاني ككيان أكثر تسامحًا بالمقارنة مع داعش الذي يتميز بالوحشية على المستويين الاجتماعي والسياسي، وتراهن على رفض الشعب الأفغاني للنسخة المتشددة التي يتبناها داعش.

التسامح والوحشية

يركز قادة طالبان على وسائل تفريغ جاذبية داعش لدى جهاديي المنطقة من مضمونها، ويتحدثون عن تعويض عجزهم عن مسايرة قدرات تنظيم خراسان المالية بحكم الرواتب الأعلى التي يمنحها لأعضائه عن الإرهاق من حرب بلا نهاية والرغبة في إنهاء أربعة عقود من النزاعات، وهي رواية تمسّ عاطفة غالبية أعضاء الحركة ممن شهدوا مقتل وإصابة العديد من رفاقهم.

تراهن طالبان لمواجهة الرواية الطائفية التي يتبناها تنظيم ولاية خراسان على رغبة المواطنين في المصالحة المجتمعية عبر منح الولاءات القبلية دورًا أكبر في المرحلة المقبلة على حساب الانتماءات التنظيمية، ما يترتب عليه التوسع في إسناد المناصب الإدارية على أساس العلاقات والمكانة القبلية مع توخي الكفاءة، وهو ما يطمئن كافة الولاءات القبلية والمذهبية بشأن شراكتها في السلطة في حال تم التمكين لطالبان.

ينطوي سعي طالبان لكسب ولاء القبائل عبر عروض الشراكة في السلطة على رسائل مؤداها البدء بتقديم إسهامها في تقويض حضور داعش، خاصة أن فرع ولاية خراسان يتمتع بنفوذ قوي في المناطق القبلية في ولاية ننجرهار وبعض مناطق ولاية كونر.

اقتضى تكريس المزيد من البراغماتية تجاوز ماضي العداء بين قومية البشتون التي خرجت منها طالبان وقومية الهزارة الشيعية، وهو ما تعده الحركة، التي تقف على أعتاب تحولات كبيرة في تاريخها، إحدى علامات التحلي بمنطق الدولة، ضمن العديد من الإشارات التي ألحت طالبان على إرسالها مؤخرا لتبرهن لبعض الأطراف الخارجية والداخل الأفغاني على أنها مختلفة عن داعش وغيره من التنظيمات السلفية الجهادية.

تهدف خطط تقارب طالبان من شيعة أفغانستان إلى الاستفادة من ثقل قبائل البشتون بغرض الحد من الصراعات المذهبية، بما يقلل من فرص داعش في التمدد علاوة على تداول اسم طالبان كطرف أفغاني يعتنق قومية محلية وينسج علاقات جيدة مع الجميع، محافظًا على ما توارثه المجتمع الذي لم يشهد تاريخه خلافات حادة بين السنة والشيعة، ما يحرج داعش ويكشفه كتنظيم غريب عن البيئة المحلية وساع للإخلال بأعرافه وتقاليده.

لم يكن نشر طالبان لفيديو اللقاء مع القيادي الشيعي في صفوفها موظفا فقط باتجاه خلق رأي عام مجتمعي وراء الحركة في مواجهة مشروع تنظيم داعش، فالحركة تريد أيضًا أن تبعث رسالة إلى إيران مفادها أن الاتفاق مع واشنطن ليس على حساب علاقاتها الأخرى، سواء كانت مع إيران أو روسيا أو الصين.

إعادة بناء علاقات إستراتيجية بين طالبان وطهران تمنح الأولى المزيد من أوراق المناورة السياسية مع واشنطن، وتفرض الحركة كلاعب لا غنى للقوى الدولية والإقليمية عن التعاون معه في سبيل لعب دور في مستقبل أفغانستان السياسي.

يوتيوب والتطبيقات الرقمية وألعاب الفيديو تقرب الأديان بصورة مرحة

وفرت المنصات الرقمية الجديدة، من قبيل يوتيوب وغيره، فرصة لتقديم مادة تعليمية للأطفال تجمع بين المحتوى الديني والأسلوب المرح، في ظاهرة تقطع مع التكلس والجمود اللذين ارتبطا بالخطاب الديني، وتضمن تقبلا أيسر للرسائل القيمية والأخلاقية المقدمة.

القاهرة – "أوكي، فلنبدأ"، المقطع المصور التفاعلي من الرسوم المتحركة يظهر فيه طفل صغير واقف أمام سجادة صلاة في حجرته، يسمع في الخلفية صوت زقزقة عصافير. "فلنقف مستقيمين صفا واحدا متساويا ولنتوجه صوب الكعبة في مكة"؛ بلغة مفهومة بالنسبة للأطفال، تشرح الشخصية ثلاثية الأبعاد الخطوات الأولى لتعليم أداء الصلوات الخمس المفروضة عند المسلمين.

حظي المقطع بأكثر من مليوني مشاهدة على يوتيوب، ويُعدّ من أنجح الشرائط المصورة في مسلسل الرسوم المتحركة الديني "علي وسمية"، وهما بطلا هذه الحلقات التعليمية اللذان يشرحان للأطفال في كافة أرجاء العالم الإسلامي هذه التعاليم الدينية بصورة مبسطة ومرحة.

ولا يقتصر الأمر على التعاليم الدينية الإسلامية فحسب، بل تعددت على شبكة الإنترنت وتطبيقاتها الرقمية الكثير من المسلسلات التعليمية ذات المحتوى الديني الخاص بأبناء الديانة المسيحية أو حتى الهندوسية، التي تتسم بطابعها المبسط وألوانها المرحة، وانضم إلى هذا التوجه أيضا صناع الألعاب ومصممو التطبيقات الرقمية وفقا لمفهوم واضح: أن الدين، وهو أمر جاد للغاية في التعامل مع تفاصيله، يمكن أن يكون أيضا التعامل معه من جانب ترفيهي شيق ومرح.

يقول بادير بالام، منتج المسلسل الديني الكارتوني "علي وسمية" "كلما تعلمنا وعرفنا أكثر عن الإسلام، استوعبنا بشكل أكبر أن نبي الإسلام محمد كان شخصا ودودا ومرحا". ويشارك بادير في إنتاج المسلسل الناطق بالإنجليزية مع عشرة أشخاص آخرين. ويستهدف المسلسل جمهور الأطفال المسلمين في بريطانيا والولايات المتحدة وكندا، وكذلك أبناء الجالية الناطقة بالإنجليزية في الإمارات العربية المتحدة.

يوضح بالام "شعارنا هو تحقيق التواصل بين الإسلام والأطفال بحب واستمتاع". ويظهر في المسلسل القارئ المصري الشيخ محمد جبريل بصوته العذب في تلاوة القرآن والتواشيح الدينية وكذلك بصورته. وقد أطلق صناع مسلسل "علي وسمية" تطبيقا له على الهواتف المحمولة.

تأقلم مع مقتضيات العصر

ويتعلم الأطفال عادة تعاليم الدين في سن مبكرة عن طريق والديهم، أو في المدرسة أو من خلال دروس تحفيظ القرآن بالمساجد. وكما هو معتاد في قنوات وبرامج التلفزيون منذ سنوات، توجه مسلسلات الرسوم المتحركة خلال رمضان، رسالة أخلاقية لتوضيح مغزى الصيام وارتباطه بالأخلاق الحسنة وقيم الكرم والعطاء والإيثار.

وبما أننا نعيش الآن عصر اليوتيوب، المنصة الرقمية التي تعرض أشرطة ومقاطع مصورة عن كل شيء تقريبا، فقد أصبح منتجو هذه النوعية من المقاطع يسعون لعرض أعمالهم التي تجمع بين المحتوى الديني والرسالة الترفيهية التثقيفية بأسلوب مبهج ومرح. من بين هذه الأعمال التي حققت شهرة على يوتيوب حلقات مسلسل "زكي وأصدقاؤه" وبطلها الدب زكي، بلونه البنفسجي ويشبه إلى حد كبير الدب "ويني بوه"، من عالم ديزني، ولكنه موجه للمسلمين. وقد حقق شريطه المصور التعليمي لحروف الهجاء أكثر من 75 مليون مشاهدة، وهو عبارة عن أغنية تردد فيها حروف الهجاء بشكل منغم، تربط التعليم بآداب الإسلام وقيمه مثل الله ورمضان والحج، إلخ.

ويذكر أنه قبل وجود اليوتيوب كانت برامج التلفزيون تحتوي على مادة دينية موجهة للأطفال، ولم تكن تقتصر على المسلمين فحسب. في الولايات المتحدة على سبيل المثال، كان التلفزيون يقدم حلقات مسلسلة بعنوان "Veggie Tales" أبطالها ثمار فاكهة وخضروات مشخصنة تتكلم لتسرد قصصا من الإنجيل، ويرجع تاريخ هذه الحلقات لعام 1993.

> منتجو هذه المقاطع أصبحوا يسعون لعرض أعمال تجمع بين المحتوى الديني والرسالة الترفيهية بأسلوب مبهج

ومع ظهور التكنولوجيا كانت هناك محاولات لبعض شركات ألعاب الفيديو الأميركية تقديم ألعاب رقمية ذات محتوى ديني مسيحي، إلا أن نجاح هذه المحاولات كان محدودا، ومنها "ألعاب الإنجيل" أو "الكابتن إنجيل تحت قبة الظلام".

ويوجد على شبكة الانترنت الآن بالنسبة للمسيحيين، العديد من الألعاب ذات المحتوى الديني والمضمون الإنجيلي والترفيهي في نفس الوقت، ومنها ألعاب ورق، وكتيبات للتلوين تحكي قصصا مثل داود وجالوت، وغيرها من القصص الشهيرة في العهد القديم.

وبالنسبة لأتباع الديانة الهندوسية فسوف يجدون ما يبحثون عنه قريبا على منصة "نتفليكس"، التي أعلنت أنها سوف تقدم لهم خصيصا مسلسل "Ghee Happy" أو الآلهة النباتية السعيدة، ويتناول قصة مجموعة من الآلهة الهندوسية للأطفال في عمر الحضانة.

"الأطفال في أي مكان في العالم على استعداد لتعلم أي شيء يستخدم فيه أساليب المرح والترفيه"، هذا ما يؤكده فارزانا رحمن، الذي بحث لابنته الصغيرة عام 2010 بلا جدوى عن دمى وألعاب تساعدها على تعلم الديانة الإسلامية، فشرع في تصميمها وإنتاجها في الصين. يقول رجل الأعمال الحاصل على الجنسية الإنجليزية والمقيم في لندن، إن منتجاته تباع حاليا في أوروبا وجنوب أفريقيا والإمارات العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية ونيجيريا وإسرائيل.

أطلق رحمن على الدمى التي يصممها "أصدقائي المسلمين الصغار"، وحرص على أن تظهر مرتدية الزي الإسلامي الشرعي، ويقدمها مع إكسسوارات ذات طابع إسلامي أيضا ومنها وسائد على شكل الهلال ونجوم تتلألأ في الظلام وتردد أدعية، ومن شخصياته الدب "بيني" الذي يؤدي حركات الصلاة سجودا وركوعا ويقرأ بعض آيات القرآن.

ويعتبر رحمن أن دماه، مثل مسلسلات الرسوم المتحركة، مؤشر على أن الدين وأتباعه باختلاف توجهاتهم يشهدون حالة تحول "تتأقلم بكل بساطة مع طبيعة العصر".